الأصوات

سلسلة روايات للناشئة

obeikandl.com

تأليف

لمياء السعيد

طبعة ٢٠١٧

السعيد،لمياء

الأصوات: / لمياء السعيد – .- الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

٦٤ ص ,٢٠ سم (سلسلة روايات للناشئة)

تدمك: ٦ ٤٧١ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة

أ - العنوان

٨١٣,٠١

obeikandl.com

الأصوات

سلسلة روايات للناشئة

تأليف

لمياء السعيد

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢١٧١٤

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٧١-٦

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : الأصوات

المؤلف : لمياء السعيد

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikandi.com

الأصوات

obeikandl.com

obeikandl.com

الأصوت

«صباح الخير حبيبي.. لماذا لم توقظني عندما استيقظت؟»

- لم أكن أريد إزعاجكِ يا حبي.

ضحكَتْ «غادة» وقالت له: ما كل هذا الحُبّ يا «محسن»؟ أهلّ عدتُ عروسًا جديدة اليوم؟

- أنتِ كل يوم عروسٌ جديدة، فأنا أحبُّكِ جدًّا يا غادة.

- وأنا أيضًا يا محسن.. أعشقك، بعد كل تلك السنوات التي مرَّت علينا، ونحن متزوجان، لم تقلّل من حُبّي لك يومًا.

obeikandl.com

طبعَ محسن على وجه غادة قُبلة، وخرج من الغرفة، ودخلَ غرفة أولاده ليقبّلهُم أيضًا، وخرج لعمله.

استيقظَتْ غادة قبل موعد عودته للمنزل بوقتٍ كافٍ لتُعدّ له كل الأطعمة التي يحبها، فقد كانت سعيدة جدًّا هذا اليوم، وأثناء إعدادها للطعام..

رنَّ جرس الهاتف.. ردَّت غادة بلهفة، علّه يكون محسن يحادثها من عمله، كعادته يوميًّا، ليطمئن عليهم، وليرى إن كان ينقصهم شيئًا.

ردَّتْ غادة.. كان صوتًا غريبًا..

تساءل الرجل الغريب: هل هذا منزل الأستاذ محسن عبد الله؟

- نعم.

- هل أنتِ زوجته؟

- نعم، من يسأل؟ محسن ليس هنا؟

- أعلم يا سيدتي، فهو عندنا هنا.

باغتت غادة الرجل بسؤاله: عندكم أين؟

- مشرحة زينهم.

صرخت غادة: لماذا هو عندكم؟ اجعلني أحادثه.. أكلمه.. ماذا حدث؟؟ اعطني محسن أرجوك..

- للأسف ياسيدتي، الأستاذ محسن لا يمكنه محادثتكِ.. فهو في رحاب الله.. اصبري واحتسبي، وأرجوكِ تعالي لتتعرفي على الجثة وتستلمينها.

obeikandi.com

- لا، أنت كاذب.. اعطني محسن حالاً..

قالتها غادة وهي منهارة.. أرجوك قلّ لي أنه خطأ.

- للأسف يا سيدتي، عمومًا تعالي إلى المشرحة، وتعرّفي على الجثة، لعلّه خطأ.

تركَتْ غادة الهاتف، وارتدت ما وجدته أمامها من ملابس ثم نزلت مهرولة على السُّلّم، تاركة كل شيء وراءها.. لا تعرف كيف وصلَتْ إلى هناك.. ينتزع قلبها الألم وتدعو وترجو أن يكون خبرًا كاذبًا.

اتّصلَتْ على هاتفه ألف مرَّة، لا يردّ حتى انتهى الجرس، كلّمَتْ موقع عمله بلا إجابة.

وصلَتْ إلى ذلك الباب.. تهاوت قواها، فلم تعد تستيطع الوقوف، فهي الآن لا تريد الدخول، إنها خائفة مما خلف الباب.. ذلك الكابوس القابع في تلك الغرفة، إن كانت حقيقة.. هي الآن لا تريد تلك الحقيقة.. هي تريد إنكارها.. تريد العودة للوراء لعلَّ الزمن يصحبها معه لصباح اليوم، عندما كان محسن يقبّلها، تلك اللحظة تريد أن تعيشها عمرًا.

وأثناء وقوفها أمام الغرفة وتفكيرها في محسن، وجدَتْ أخاها خلفها، وقد اصطحب معه ابنها وبنتها، فُزعَت عندما رأته.. عرفَتْ أن ما يجري ليس كابوسًا ولا حُلمًا.. بكت على كتف أخيها بكاءً مرًّا.

قال لها: تماسكي، فقد كلّمني ابنكِ «خالد» وحكى لي ما حدث، فجئتُ بهما لنتأكّد.. هيّا بنا، سنترك الطفلين هنا وندخل.

بالفعل اتّكأت غادة على يديّ أخيها، ودخلَتْ، ولتلك اللحظة كان الأمل لا يزال قابعًا في قلبها.

فتحَ الرجل الثلاجة، فوجدَتْ محسن يرقد بها.. صرخَتْ حتى انقطع الصراخ، وتهاوت مغشيًا عليها.

نُقِلَتْ للمشفى، فقد كانت تعاني من انهيارٍ عصبيّ.

لم تحضر جنازته، ولم تتلقَ العزاء.. قبعَتْ بالمشفى ما يقارب الشهرين.. ترفض واقعها وتعيش أوهامها، فتارة تنتظر رجوعه، وتارة تبكي رحيله.

ذهبَ اِبناها إليها «منى وخالد» ناشدتها أن تعود إليهما، فهُما الآن يتامى ويجب أن تتماسك من أجلهما.. وبين يأسهما ورجائهما.. بدأت غادة تستعيد عافيتها، ولكن أوصى الطبيب لها بمهدئ عصبي لتستمرّ عليه حتى تتأقلم مع الصدمة.

رجعَتْ إلى بيتها.. نفس المكان الذي عاشت به ما يقرب من سبعة عشر عامًا، ولكنه اختلف الآن، فأصبحت الكآبة عنوانه، والأحبة تركوه، فكأن كل شيء له طعم الألم.. مرٌّ بطعم الصبر وأمرّ منه.

مرَّت الأيام ثقيلة وكئيبة.. كانت منى الابنة الكبرى تفهم حزن أمها، فقد كبرَتْ بتلك الشهور سنينًا كثيرة، ولكن خالد ابن الثانية عشر عامًا،

لم يكن يستوعب كل ما يحدث حوله.. أين ذهب أبوه؟ وما هي السيارة الملعونة التي سرقتْ حياتهم، التي يتكلّم عنها الجميع؟ ولماذا أمه مريضة كل هذا المرض؟

أشياءٌ كثيرة دارت بخلد الصبي، لم يجد لها إجابة، وكلّما سأل أحدهم لا يرى سوى نظرات الشفقة، وهمزات الشفاه ومطّها تحسّرًا.

لم يجد بينهم إجابة، سأل أخته منى: أين ذهبَ أبي؟

احتضنته، وقالت له: عند الله، ولكنه لم يمت.. إنه يعيش معنا الآن.. لا نراه فقط ولكنه هو يرانا، ومن حينٍ لآخر سيظهر لنا ليطمئننا عليه.

إجابة أخته طمأنت قلبه قليلاً، ولكنه ظلَّ يبحث وينادي على أبيه ليلاً ونهارًا أن يظهر، ولكن بلا جدوى.

كانت أمه كل ليلة تتناول ذلك القرص المهدئ، وتأوي إلى سريرها، فبدونه لا تنام، وتظلّ تبكي أباه الراحل.

تسلَّل خالد إلى سرير أمه ليلاً، لعلّه يجد بحضنها الأمان الذي افتقده، والدفء الذي زال فأصبح كالعاري على جبلٍ جليدي.

همَّ أن يدخل غرفة أمه، وجدها تكلِّم أباه، تناجيه في نومها، كأنه بجوارها، تراه، ويراها، دخلَ خالد مسرعًا ليرى أباه هو الأخر، ولكنه لم يجد

أحدًا.. كانت أمه شبه نائمة، ولكن دموعها تسابق بعضها البعض للخروج، لتتساقط الواحدة تلو الأخرى على وسادتها.

أيقظها خالد، وقال لها: أسمعكِ تكلّمين أبي، ولكني لا أراه.. كيف ترينه وأنا لا أراه؟

- يأتيني في أحلامي ما إن أنام.
- كيف ذلك وأنتِ لا تنامين إلا بتلك الأقراص؟
- تلك الأقراص بوابة عبوري إليه، لذلك أتناولها.. هيَّا نم، لا أستطيع التحدُّث الآن.

نام خالد بحضن أمه، وظلَّ ينتظر أن يحلُم بأبيه، ولكن دون جدوى.

قرَّر خالد أن يتناول من تلك الأقراص، حتى يرى أباه، ولِما لا؟ فأمه تتناولها وتراه يوميًّا، لِمَ هو محرومٌ من رؤيته؟

أخذ قرصًا تلو الأخر لكي يراه أطول وقت ممكنًا، فلا يكفيه الليل فقط، سيأخذ الكثير ليعيش معه أبوه ليلاً نهارًا.

أخذ كل ما بالعلبة إلا قرصًا واحدًا، تركه لأمه حتى تنضم إليه ليُعلِمها أنه سيبقى مع أبيه.

ما هي إلا دقائق، حتى ارتمى خالد أرضًا بلا صوت، ولا حركة.. بحثَتْ عنه أخته لم تجده.. دخلَتْ غرفة أمها فوجدته ملقيًا على الأرض.

تعالى صراخها بالبيت حتى نفذ إلى جدرانه، فتصدّع قلب الحجر من صرخاتها.

هرعَتْ أمها إليها فوجدت بجوارها خالد، يحمل علبة الدواء، جرت به إلى المشفى وبكاؤها يغطيه.

حكتْ للطبيب، وأعطته اسم الدواء، ولكنها كانت منهارة متسائلة: كيف ذلك؟ هل سأفقده كما فقدتُ أباه، ودوائي يكون قاتله؟ ماذا أفعل الآن ؟

مرَّت الدقائق، وكأنها أعوامًا، تسارع عقارب الساعة كمن يصارع الموج الهادر، تنتظر ولو كلمة تريح قلبًا سكنه الألم.

خرج الطبيب، وقال لها: للأسف قد تأخرتم كثيرًا.

صرخت الأم: مات طفلي يا عذابي.. يـاربي.. كيف هذا؟

أمسك بها الطبيب، وقال: لا، لم يمُت، انتظري حتى أفهمكِ، قد تغلغل الدواء بداخل الأنسجة كثيرًا مما أدى إلى دخوله في غيبوبة.

- هل سيفُق؟ أرجوك قل لي؟
- ذلك لا عِلم لنا به، فهو بين يدي الله، ولكن في حالات كثيرة فاق المريض، وعاد كما كان، ونحن سنعمل ما بيدنا والباقي على الله.

هرعَتْ الأم إلى حجرة ابنها، وجدته مقيّدًا بالأسلاك، والخراطيم، جفلت على صوت أخيها.. جاء من خلفها ناهرًا إياها: متى ستفيقين لنفسكِ؟؟

نظرَتْ إليه.. أمسك ذراعها قائلاً:

- أأنتِ الوحيدة التي مات زوجها؟ لماذا لا تهتمين بأبنائكِ مثل باقي الأمهات، كل الزوجات يتجاوزن المحنة، إلا أنتِ.. عشتِ أوهامًا، وآلمتِ كل من حولكِ.. تناولتِ ذلك الدواء اللعين، الذي كاد أن يقضي على ابنكِ، لتهربي من واقعكِ، ومسئوليتكِ.

ثم أداروجهها، حيث يرقد خالد، وقال لها:

- انظري ماذا فعلتْ أوهامكِ؟ قرَّر أن يقلّدكِ.. أنتِ أمٌّ فاشلة.. أفيقي، ما بكِ ألا تشعرين؟

تدخَّل الناس بينهما لإفلاتها من يده.. انهارَ الرجل باكيًا، وهي خارت قواها كمن تحطّمتْ أحلامه على صخرة واقع أليم.. اقتربَتْ منه، وقالت: أقسم لك يا يوسف، كان حزني أكبر منّي، لم أستطع مقاومته.

نظرَ إليها قائلاً: لن أجيبكِ، لن أعطي لكِ حججًا، أبي مات، وربّتنا أمي، وحافظت علينا، ألم تكن تحبُّه؟ مؤكد لا، كانت تعشقه، ولكنها امرأة احتوَتْ حزنها، والأكثر أنها عملت، وفتحَتْ محلّه بعد وفاته بأسبوعين، ووقفَتْ به كرجل، لم تكلّ بنا، ما لكِ أنتِ؟

- سامحني يا يوسف..

قالتها وهي مكسورة، فلا يوجد بالعالم من هو أحن عليها من يوسف أخوها، وهو كل ما تبقّى لها في الحياة، وهي تحبه وتحترمه.

- اسألي الله أن يغفر لكِ، ويشفي ولدكِ، سماحي لن يفيدكِ الآن.

مرَّت الأيام التالية ثقيلة، كانت تذهب إليه يوميًّا بالمشفى، تقرأ له القصص، والحكايات تحدّثه بالساعات، أقلعَتْ عن الأقراص، ولكن دون جدوى.

كان خاله يبيت معه، فيوسف كان يعتبر خالد ولده، الذي لم ينجبه.

قابلتْ الطبيب وسألتْه: هل يوجد أمل فعلاً، مرَّ الآن شهران بلا تحسُّن.. أشعر أنه يسمعني، ولكنه لا يتحرَّك.

- للأسف يا سيدتي، فنصف خالد الأسفل شُلَّ بالكامل.. وضّحَتْ الإشاعات ذلك.

نزل عليها الخبر كالصاعقة التي تضرب الحجر، فتقسمه إلى نصفين، انفطر قلبها.. سألتْه: ألا يوجد علاج؟

- سأحوّله لجلسات العلاج الطبيعي، ليتم تنشيط العضلات بشكلٍ مستمرّ، حتى لا نواجه دمور الأعصاب، وبالذات في حالة خالد، فهو في حالة ثبات لا يتحرَّك.

ها هي تتلاقفها أمواج الحزن ثانية.. كانت تريد الاطمئنان فزاد عذابها عذابات.. دخلَتْ دوامة أخرى بين العلاج الطبيعي، والترقُّب على أمل الإفاقة.

في أحد الأيام، جاءها اتصالٌ من أخيها قائلاً لها: تعالي سريعًا لقد فاق خالد الآن.

كانت تلك هي المرَّة الأولى التي تشعر فيها بطعم الفرحة تسكن قلبها منذ شهور.. نعم هو الآن مشلول، ولكنه سيتحسَّن، وسيشفى، والحمد لله مازال على قيد الحياة.. فعندما تأخذ منّا الحياة كل شيء، نفرح بالقليل الذي تجود به من وقتٍ لأخر كأنه كنوز الدنيا.

ذهبَتْ شبه طائرة إلى المشفى.. لا تستوعب فرحتها.. تمسك منى بيدها، وتطوي طرقات المشفى تحت قدميها، وصولاً لغرفته.. كم كانت نفس تلك الطُرُق ثقيلة بالأمس.. دخلَتْ إلى حجرته، وجدَتْ الأطباء حوله.. مرَّت مخترقة صفوفهم لتصل إليه، ولأخيها، فوجدَتْ يوسف أخاها يقف باكيًا، وخالد يصرخ والأطباء يحاولون تهدئته.. لم يستطع لسانها أن يسأل.. عُقِدَ عن الكلام تساءلت بعينيها: ما الأمر؟

احتضنها وقال لها: خالد أصبح ضريرًا، فقدَ بصره أيضًا.

لا لا لا لا لا لا لا..

قالتها مئات المرَّات.. هذا كثيرٌ، مستحيل.. أنا عوقبتُ بما يكفي، لا تزيدوا آلامي، أرجوكم.

- أختي الحبيبة، اهدئي، فالدواء تمكَّن من أنسجة العين، ففقدَتْ القدرة على الإبصار.

التفتَتْ إليه قائلة: هذا كثير عليَّ يا يوسف.

- تماسكي لتكوني قوية أمامه، هذا قضاء الله، وهذا حالنا نحن، ما بالُكِ به هو، يجب أن نتماسك من أجله.

قاطعهم الطبيب: أعرف أن المصاب جلل، ولكن هناك أمل، إن شاء الله سأكتب له على حقن من نوعٍ خاص، ستجعل الجسد يتخلّص من أثر الدواء،

ولعلّ وعسى نجده يومًا قد أبصر، بعدما يزول كل أثر للدواء.

«يـارب...»

خرجَتْ من حناجرهم تحمل زفيرًا من بئرٍ عميق، تختلط بالرجاء والأمل.

ردَّ عليهم خالد: يارب اشفني، فأنا أحبك.

تعجّبَ الجميع، كيف سمعهم خالد من خلف الزجاج، وهُم يهمسون تقريبًا، ولكن لم يلقوا لذلك بالاً.

وبعد مرور الأيام، لاحظ الأطباء قدرة خالد الرهيبة على السمع، حتى أنه يسمع ما يحدث

على بُعد مئات الأمتار، مما أحال رأسه إلى ضجيج مستمرّ، وعدم القدرة على التركيز.. نصح الأطباء بعودته للمنزل حتى يهدأ، ويتأقلم، ويعود للمشفى من آنٍ لأخر؛ لأخذ الحُقن، وتلقّي العلاج الطبيعي.

عاد خالد إلى منزله، كان تأقلمه صعبًا جدًا على الجميع، فهو يسمع كل شيء ولكنه يرتطم بكل شيء.

كانت أخته منى هي عينه التي يرى بها كل شيء، وكان خاله دائمًا إلى جواره، ولكن غادة كانت لا تتحمّل رؤية ما وصلَ إليه، كانت تلوم نفسها دائمًا.

بمرور الأيام أصبح خالد يعرف كل الأصوات، بل ويميّز من يتكلّم، فقد كان يسمع حتى آخر الشارع تقريبًا، فكان يقصّ على منى قصص الجيران.. ماذا يأكلون، وماذا يقولون؟

كانت منى تسمعه بالساعات دون ملل، فتارة يضحكون عليها وتارة يحزنون، وكانت تقول له إنها أسرار الناس، لا نريد فضحها، فقد اتفقا على ذلك.

ويومًا، جاء يوسف إليهم ليأخذ خالد لأخذ حقنته الأولى، وجلسة علاجه.

رجعا متأخرين، وقد كان واضحًا على وجه خالد التعب الشديد، فقد كانت الحقنة مؤلمة، وكذلك العلاج، نام سريعًا بدون مقدّمات، فحمله خاله إلى سريره.. وفي منتصف الليل، صحا خالد مفزوعًا، صارخًا.

obeikandl.com

هرعَتْ إليه أمه، ومنى: ما بك يا بني؟ هل تتألم؟

- لا يا أمي، إنه يضربها بعنفٍ شديدٍ.

أمسكَتْ أمه به: إنه حُلم يا حبيبي.

- لا، ليس حُلمًا، أنا أسمعها تصرخ.

- أرجوك اهدأ، أنا لا أسمع شيئًا.

- منى، أتسمعينهم يا منى؟

أمسك أخته بيده، قالت له: لا، مَن؟

- الصراخ عاليًا.. كيف لا تسمعانه؟ بالله عليكما أنصتا.

أنصَت الجميع بلا جدوى، هو فقط من يسمعه.

ربتَتْ منى على كتفه، وقالت له اهدأ، وركِّز، مَن يضرب مَن؟

- الصوت يأتي من على بُعد عِدّة بيوت.

تساءلت أمه: ماذا يقصد؟ ماذا تقولان؟ لا أفهم منكما شيئًا.

قالت منى: اصمتي يا أمي، هو يسمع شيئًا يخيفه، يسمع صراخًا أوشجارًا لا نسمعه.

ثم عادت لتسأله: ماذا تسمع الآن يا خالد؟

- منى، إنه يجرّها على السّلُّم من شعرها، وهي تستغيث وتسأله أن يتركها.

obeikandl.com

ردَّت أمه: إذًا، سأخرجك للشرفة لأنظر من سيجرّ امرأة خارج بيته الآن.

وقفَتْ الأم، ولم تجد شيئًا، رجعَتْ إليه: لا يوجد أحد يا خالد، أرجوك اهدأ، أعلم أن اليوم كان صعبًا، حاوِل أن تستريح الآن.

«منى اقتربي...»

قالها خالد، وصمتَ يتحسَّس حوله، علّه يستطيع التمسُّك بأخته ضاربًا الهواء.

خرجَتْ الأم، وقالت: هدّئيه يامنى، أرجوكِ.

أمسكَتْ أخاها، وقالت له: اهدأ، ماذا تسمع؟

- أسمع صراخًا لا يزال موجودًا، ولكنه يخفُت

شيئًا فشيئًا، كأنه نزل تحت الأرض بها.

انتفضَ خالد مرَّة آخرى: إنها تصرخ ثانية.

- من هي يا خالد؟
- أنا أعرف ذلك الصوت، انتظري.. إنها... «هناء».
- هناء جارتنا التي تسكن في البيت الأبيض؟
- نعم، هي.
- اهدأ، قد يكون خلافًا مع زوجها، وسيتصالحان الآن.
- لا، إنه يضربها بعنفٍ.
- يا أخي الحبيب، للكبار أمورٌ لا نفهمها، وهي

obeikandl.com

وزوجها فقط من يسكنان ذلك البيت، وسيتصالحان غدًا، نم يا حبيبي واهدأ.

مرَّ يومان، وخالد يسمع ذلك الصراخ المكتوم في جوف الليل، ولا يستطيع النوم. يصرخ قائلاً: إنها تبكي وتتألم.

قرَّرت منى إراحة أخيها، فذهبَتْ لبيت هناء، ودقَّتْ الباب.

فتح لها زوجها قالت له: عمو أريد أبلة هناء في طلب.

ردَّ الرجل: ماذا تريدين منها؟

- أمي ليست بالمنزل، وأحتاج منها طريقة عمل البسلّة.

نادى الرجل زوجته: هناء تعالي هناك من يريدكِ.

بالفعل خرجَتْ المرأة واستقبلَتْ منى، وشرحَتْ لها كلّ شيء، فتركتْها منى شاكرة لها.

رجعَتْ لخالد وطمأنته بأنها قابلتها، وهي بخير.

لم يصدِّق خالد أخته، ظنَّ أنها تريد إراحته.

أقسمَتْ له: أتشكّ بي يا خالد؟

قال: لا، ولكني مازلتُ أسمع صراخها ليلاً، واستغاثتها، فهي مجروحة بوجهها، أليس كذلك؟

- لا يا خالد، صدّقني، فهي في كامل أناقتها وترتدي ثوبًا أحمر جميلاً جدًّا.

- أحمر؟

- نعم يا خالد.

- مستحيلٌ، فهناء تكره اللون الأحمر.

- وما أدراك أنت ؟

قالتها منى ممتعضة من إصرار أخيها على تكذيبها، وتصديق نفسه.

- رأتني يومًا أرتدي (تي شيرت) أحمر فقالت لي: إنه لون الدم، فلا تلبسه ثانية.

- حبيبي خالد، قد تكون كرهَتْ درجة اللون، وليس اللون الأحمر كلّه.. صدّقني، هي بخير.. خالد، قد تكون الحقنة سببت تلك الأصوات، فاهدأ أرجوك.

- حتى أنتِ يا منى تقولين أنني جننت.. أنا فقدتُ بصري وقدمي نعم، ولكني لم أفقد عقلي أيضًا.

احتضنته منى، وقالت:

- لا يا أخي، لا تحزن.. أنا أسفة جدًّا، ولكن أنا ذهبتُ، ورأيتُها بنفسي.

جاء الليل، وصحا خالد مفزوعًا أيضًا يصيح: أمي أرجوكِ، ساعديها فهو ينوي قتلها.

جاءت أمه، ونهرته، وقالت له: كفى أوهامًا، يجب أن نذهب للطبيب غدًا، ليجد حلاً لمأساتنا تلك.

جلسَتْ منى بجواره، وقالت له: خالد اهدأ الآن، سنراجع الطبيب غدًا، قد يعطيك علاجًا يريحك.

- منى، أنا أسمعها كما أسمعك اليوم، كانت تبكي، وتقول له: ارحمني، قال لها: سأريحكِ إلى الأبد لا تقلقي.. إنه ينوي قتلها يا منى.

احتضنتْه منى حتى هدأ، واستسلم للنوم.

وفي اليوم التالي ذهب خالد ومنى للطبيب، لم تذهب أمه معهما، فقد فضّلَت البقاء بالمنزل خوفًا من صدمة أخرى، ولكنه قال لأخته: لا يوجد علّة جديدة، قد يكون يحلُم، وذلك شأن لا نستطيع السيطرة عليه، ولا أستطيع أن أكتب له مهدّئاتٍ، حتى لا أزيد الأمر تعقيدًا.

رجعا من المشفى، وكان خالد فرِحًا، لأنه لم يكن يهذي كما كانوا يعتقدون، ولم يكن يحلُم، فهو يعرف ماذا سمع.

كانت أمه في عالمٍ أخر.. ماذا تفعل الآن؟ أصبح الأمر أكثر من أن تتحمّله، ولكنها مسئوليتها وذنبها، فهي مثل القاتل المجبَر على أن يدفَن مع قتيله، ليرى يوميًّا حجم جريمته.

ما إن أوشكا على الوصول للبيت، حتى همسَ خالد في أذن منى أخته: أرجوكِ يا منى، هيّا لنذهب إليها.. أريد أن أطمئن بنفسي، وأراها.. نعم لن أراها بعيني، ولكن أذني وقلبي سيدلّاني.

- حاضر، سأقول لأمي ونذهب سويًّا.

obeikandl.com

بالفعل صعدَتْ منى إليها، وطلبَتْ منها النزول إلى خالد ليسلِّم عليها.. وافقت الأم.. ذهبا إلى منزل هناء وصعدت منى إلى منزلها وأخبرتها أن خالد يريد رؤيتها، استجابت المرأة لها، ولكنها كلّمَتْ زوجها هاتفيًا أولاً، وكانت تهمس له، ثم نزلَتْ معها، واحتضنَتْ خالد، وقبّلته.

تحدّثا معها قليلاً ثم استأذنا منها ومشيا.

قالت له منى: هل أطمأننت الآن؟

- لا، ليست هي، تلك ليست هناء.

وقفتْ به منى، وقالت له: أنت الآن تهذي، أنا أراها.. ما بك؟

- أقول لك هناء عسراء، وهذه ليست كذلك.

- ما أدراك؟

- لقد احتضنتني هناء كثيرًا بعد موت أبي، وكانت دائمًا تلُّف يدها اليسرى على ظهري، لأنها عسراء، إنما هذه لفَّت يدها اليمنى، وكذلك نبرة صوتها مختلفة عن هناء.

دخلا بيتهما.. أغلقت منى الباب، وقالت له:

- أنت الآن تهذي فعلاً، أرجوك أغلق ذلك الموضوع، فلا هي معذّبة، ولا مضروبة، وأكيد ليست مقتولة، اهدأ الآن.

obeikandl.com

حزنَ خالد كثيرًا، وانتظر خاله يوسف وأفضى إليه ما حدثَ، وأقسم له أنه يسمعها، ولكن لا أحد يصدّقه.

قال له خاله:

- أنا أصدّقك، ولكن قد يكون خلافًا، وانتهى بين الأزواج.. إن استمرّ الأمر سأحقق لك فيه.. هذا وعدٌ منّي بذلك، سنكون فريقًا من المخبرين السرّيين.

فرحَ خالد كثيرًا، ومرَّ نصف اليوم وهو سعيدًا.. وفجأة وهو جالس مع خاله، سمع صوتها ثانية، قال له: أنصت يا خالي، هي تصرخ الآن.

- لا أسمع شيئًا يا خالد، قل لي ماذا يقولان؟

- إنها ترجوه أن يُطلِق سراحها، وأن يرحمها، ويرحم ابنهما الذي في بطنها.

- وماذا يقول هو؟

- يقول أنه سيقتلها.

- خالد، ما تقوله خطيرًا جدًّا، أتعلم ذلك؟

- أعلم يا خالي.

- أنا أصدّقك، اتركني أتحرّى الأمر، وسأقول لك، ولكن إن سمعت شيئًا أعلمني، حسنًا؟

- نعم، سأعلمك.

obeikandi.com

كان خالد لا يسمعها إلا عندما تصرخ، ويسمعها أوضح في جوف الليل، عندما تهدأ الأصوات الأخرى، فيستطيع التمييز بين صوتها وبين أصوات باقي النساء.

جلسَ خالد في هذه الليلة ينتظر أن يسمعها، ولكنه لم يسمعها تلك الليلة.. كاد أن يفقد صوابه.. هل ماتت؟ لماذا لا يسمعها الآن؟

شعرَتْ منى بالراحة، فتلك الأوهام انتهت الآن ورجع، أخوها لصوابه، ولكن خالد لم يكن مطمئنًا أبدًا.

في اليوم التالي، جاء خاله، ولكن لم يكن هناك جديدًا، شعرَ يوسف بقلق ابن أخته، وحالته النفسية فقرَّر المبيت معه تلك الليلة.

وفي جوف الليل، انتفض خالد، وقال لخاله: إنها تصرخ الآن، إنها تتألم يا خالي.

طمأنه يوسف، بأنه سيجدها وينقذها.

قال له خالد: إنه يضربها، لتصمت.. انتظر يا خالي إنها تشبهها...

- مَن يشبه مَن يا خالد؟

ردَّ خالد: تلك المرأة تشبه هناء كثيرًا، ولكن هناء لا تعرفها.

- ماذا تسمع يا خالد؟

تلك المرأة تقول لهناء: لقد أخذتِ حياتي يا هناء، وسأستردها الآن.

هناء تقول: أنها لا تعرفها.

- وماذا تقول المرأة؟

تقول: أنها تعرفها، وستأخذ منها ابنها، كما أخذت زوجها، وستأخذ حياتها أيضًا، فهي تبقي عليها فقط حتى تلد ذلك الطفل، وإن لم تمت أثناء الولادة ستقتلها بعدها.

وهناء تجيبها: لِمَ كل هذا؟ أنا لا أعرفكِ، ولم أؤذيكِ، لِما تكرهينني هكذا؟ أنتِ تشبهينني جدًّا.

ردَّت المرأة: وتلك لعنتكِ.

ردَّ يوسف: ذلك مستحيل كيف يجد من تشبه زوجته لهذه الدرجة؟ ولماذا يفضّلها على زوجته؟ ولماذا يريدون الطفل لقتلها؟

ردت منى وقد كانت انضمت لهما بعد سماع صوت خالد عندما استيقظ فزعًا: قد تكونان توأم.

ردّ يوسف: مستحيل، كيف تكون أختها ولا تعرفها؟ فأنا أيضًا أعرف هناء منذ سنواتٍ كثيرة.. لم يكن لها توأم.. ليس لها سوى شقيقة كبرى، تعيش بالسعودية، وشقيق أصغر، يعيش بكندا.

- وأين أمها وأبوها يا خالي؟

- لقد ماتا يا ابنتي.

الآن، ذلك الوضع معقّدٌ جدًّا يا خالد..

قالتها منى وهي تزفروتلوي شفتيها.

obeikandl.com

ردَّ يوسف: هل من المعقول يا خالد أن تكون تسمع أحدًا آخروتعتقد أنه هناء مثلاً؟

كان يوسف يشفق على ابن أخته من أن يقول له أن ما يسمعه أوهامًا نتيجة حالته، فكيف يجرحه يكفيه ما به من جروح.

صرخ خالد: لا يا خالي، أنا سمعتها مائة مرَّة، ثم إن تلك المرأة قالت لها: «يا هناء أيضًا».

دخل يوسف في دوامة من الحزن والألم.. ماذا يفعل الآن؟ كان يريد تحويل أوهام ابن أخته إلى لعبة ليخفِّف عنه، ولكن ماذا سيفعل الآن؟

قاطعتْ أفكاره منى قائلة: ولكن هناء ليست حاملًا.

سألها يوسف: كيف ذلك؟

- نعم يا خالي، فقد رأيتها مرّتين، كانت ترتدي فساتين ضيقة جدًّا، وأنيقة، ولم تكن حامل أبدًا.. مستحيل.
- لا يا منى، أنا أذكر جيّدًّا عندما توفيَ والدكِ، كانت حامل في شهورها الأولى، حتى أن زوجتي أعطتها نصيحة للدوار.

وبحساب المدّة هي تكاد أن تلد الآن.

هتف خالد: أتصدّقوني الآن؟ هناك شيءٌ مريبٌ يحدث.

سنحسم الأمر، سأطلب من أمكما دعوتها للسهر معنا، ونرى بأنفسنا.

وبالفعل قامت أمهما بدعوتها للعشاء وجاءت المرأة باليوم التالي، وكانت حاملاً بالفعل، ولكنها اصطحبَتْ معها زوجها على غير عادتها، وكانت متحفّظة جدًّا في الكلام معهم، ولكن رجّحَ يوسف ذلك لوجود زوجها معها.

قال لنفسه: نعم أشعر أنها مختلفة قليلاً، لا أعلم إن كانت تلك حقيقة أم كلام خالد أثربي.

انتهت الزيارة، وغادرت المرأة البيت، ويوسف محتار، ولكن خالد تأكّد أنها ليست هناء، فلا تلك طريقتها ولا صوتها، ولا أي شيء منها.

سأله خاله: ما الأخبار الآن؟

ردَّ خالد: يا خالي، قد أكون لا أرى.. أعمى البصر، ولكني لستُ أعمى البصيرة.. أنا أرى بقلبي، وتلك ليست هناء.. أقسم لك صدقني.

- ولكن المرأة حامل، وتشبه هناء جدًّا، فكيف ذلك؟

تركه خالد غاضبًا وقال: أنت أيضًا لا تصدقني.. سأترككم جميعًا.. لا أريد الحديث معكم.

جلس يوسف يفكِّر.. ماذا أصدِّق الآن؟ أأصدِق خالد؟ أم أصدق نفسي، وما رأيتُه بعيني؟

obeikandl.com

سمع خالد يبكي بحجرته مقهورًا، جرى إليه، واحتضنه بقوةٍ، وربت على ظهره، وقال له: لا تحزن يا بني، بقيَتْ طريقة واحدة لنتأكّد بها.. أنا أصدقك.. لا تبكِ.

- ماذا ستفعل يا خالي؟
- سأذهب إلى بيت أهلها، لعلّي أجد من يساعدني لمكالمتها، أوفهم ما يحدث.
- انتظريا خالي.. أنا أسمعها الآن..
- إنها تضع وسادة لتدعي الحمل وتكلم هناء الآن.
- ماذا تقول؟

obeikandl.com

- تلك المرأة تقول لهناء أنها أحضرَتْ (البطاس) -هيدروكليد الصوديم- للتخلُّص من جثتها، وأنها أحضرت لها جوالاً خصيصًا، لكي لا يبقي لها أثرًا.

انتفض يوسف، وقال: ذلك خطيرٌ جدًّا.

- نعم، هُم ينتظرون فقط أن تضع مولودها.
- سأذهب الآن إلى بيت أهلها، فلا يوجد وقت نضيعه.

بالفعل خرج يوسف، وجلس خالد خائفًا مترقّبًا أن يسمع شيئًا، ولكن لا يوجد صوتٌ لها، فلا يوجد إلا ضجيج أهل المنطقة فقط.

بحثَ يوسف حتى أضناه البحث عن أي قريبٍ لهم، فمنزلهم مغلق منذ وفاة الأم منذ عام تقريبًا، لم يجد أي أحد، حتى أتعبه البحث، فجلس بمقهى قريبًا، ليستريح بعض الشيء.

سأل عامل المقهى: ألا تعرف أحدًا من أقرباء «المعلم إبراهيم» بالمنطقة؟ أو أي أحد يعرفهم؟

قال له: أقرباء لا أعرف، ولكن أمي تعرفهم حق معرفة، فقد كانت صديقة للحاجة زوجته.

- هل أستطيع أن أقابلها؟ أريد أن أسألها عن شيءٍ عنهم؟

ردَّ الرجل الذي عرف يوسف أن اسمه «حسن»: لا يوجد مانع، البيت قريبٌ، سأدلّك عليه.. من هنا..

دخلَ يوسف البيت، نادى على «أم حسن».

قابلته بترحابٍ شديدٍ، فسألها: هل تعرفين هناء ابنة المعلم إبراهيم؟

قالت السيدة: نعم أعرفها، هي مثل ابنتي.

باغتها يوسف بسؤاله: هل كان لها توأم؟

- لماذا تسأل؟ ومن أنت؟ هل تقرب لأهل أبيها؟
- لا والله، أنا جارهناء فقط، في بيت زوجها.
- ولماذا تسأل؟ لماذا تفتح جراحًا اندملَتْ؟ وسيرة ناس فارقوا الدنيا، ومعهم أسرارهم؟

obeikandl.com

- سأحكي لكِ...

حكى لها يوسف حكاية خالد، وكيف هو متأكّد من وجود خطب ما، وأنه يسمع أمورًا لا يعرفون لها تفسيرًا.

بكَتْ أم حسن بعدما سمعت من يوسف...

قال يوسف: دموعكِ والكلام عن الأسرار يجعلاني أشك أن ما يقوله خالد صحيحٌ.

- نعم يا بني لهناء توأم.

نزلَتْ الكلمات على يوسف كطوفان عارم، وراوده ألف سؤال، فجاء كلام المرأة بعده مجيبًا لها...

ولكن لا أحد يعلم حتى هناء ذاتها، مرَّ على الأمر أربعة وعشرون عامًا، لماذا يُفتَح الآن؟!

- احكِ لي أرجوكِ، فهميني.

- كان الحاج إبراهيم والد هناء رجلاً صعيديًّا شديدًا وقاسيًا جدًّا، أنجبَتْ زوجته «سهيلة» -والدة هناء- ابنتها الكبرى «سها» وكانت كأنها قد ارتكبَتْ جريمة، كان أهلها يعايرونها أشد معايرة بتلك الفتاة، فتعجلَتْ بالحمل من جديد، حتى تأتي بالصبي، لكي تحافظ على بيتها، ولكن شاء القدر أن يكون الحمل الأخر أيضًا فتاتين توأم، انهارت سهيلة، كان معها فتاة واحدة وهدّدها الرجل بالطلاق مئات

المرَّات، فكيف الآن وقد أصبحن ثلاث، كان رجلًا جاهلًا وقاسيًا، وهي كانت يتيمة، وغير متعلّمة، كنت معها يومها فقرَّرتُ التخلُّص من الفتيات.

قلتُ لها: لا، نتخلَّص من واحدة ونبقي على الأخرى..

قاطعها يوسف: كانت تريد قتل بناتها؟

- لا يا بني، بل تقصد بالتخلص منهم أن تعطيهم لأحد أخر، نحن لسنا قتلة.

المهم بالفعل أبقينا هناء، وأخذتُ أنا سعاد توأمها، وأعطيتُها لامرأة كانت قد حرمها الله من

الإنجاب بمنطقة قريبة هنا، وبالفعل ثار الرجل وتدخَّلَ العقلاء، وأثنوه عن طلاقها، وسارعَتْ بالحمل ثالثًا، وأتت بابنها «يوسف» الصغير، في ذلك الوقت كان قلبها يتقطّع على سعاد الابنة التي لم تحتضنها حتى.. ولكن لعلمك لم تتأخر عليها، بل كانت تزورها، وتأتي لها بالهدايا، أكثر حتى من هناء كلما أتيحَتْ لها الفرصة، ولكن سبحانك يا ربّي. تربَّت هناء طيبة، هادئة، خلوقة، وسعاد غاضبة دومًا، عندما كبرَت حكَتْ لها أمها كل شيء، حتى عندما مات الرجل أعطتها الميراث الخاص بها، بدلًا عن إرثها الشرعي، حتى لا تحرمها من شيء.

كانت سها تريد منها الاعتراف بها، ولكن حتى بعد موت الحاج إبراهيم، لم تستطع فعل ذلك.. كيف ستواجه العالم بها، ماذا ستقول لإخوتها وأعمامها؟

زوّجتها، وعملَتْ له فرحًا كبيرًا، ولكن شاء القدر أن تخلَق سها بعيبٍ خلقيّ، لا يجعلها تنجب، فطُلّقَت، حتى أن سهيلة ماتت بحسرتها عليها.

ومنذ فترة اختفَتْ سها.. كنت أذهب لزياريتها من وقتٍ لأخر أحكي لها عن أشقائها، وأطمئن عليها.

- الآن فهمتُ كل شيء.. سعاد قرَّرت الانتقام من هناء، لذلك قالت لها أنها أخذَتْ حياتها، فتعرّفَتْ على زوجها، وقرَّرت أن تحلّ محلّها.

قاطعهما هاتف يوسف فقد رنَّ، وأجفلهما.

ردَّ يوسف.. وجده خالد يستدعيه سريعًا، فهو يسمع هناء تصرخ وتلد، وهو خائف أن يتخلّصا منها فور ولادتها.

هرولَ يوسف، فقالت له السيدة: خذني معك، سأقنعها.. أنا أعرف سعاد.. هي غاضبة، ولكنها طيبة وتعرفني وستخاف أن أفضحها.

خرجا سريعًا إلى منزل هناء.. دخلَتْ المرأة لم تجد أحدًا.. كلَّم يوسف خالد، قال له: إنهم معها.. بحثا يمنة ويسرة حتى وجدا مدخلاً لقبوٍ.. دخلَا وحاولا فتحه.. لم يستطعا.. دقا الباب بلا إجابة، فخرج يوسف مسرعًا ليستدعي الشرطة.

كان خالد معه على الهاتف يقول له ما يسمع، فقد عرفت سها وزوج هناء أن السيدة بالخارج، فقرّرا ألا يخرجا إلا بعد التخلُّص من جثه هناء.. أذاب الرجل (البطاس) بينما تساعد سها هناء بالولادة.

دخلَ يوسف عليهم، ومعه الشرطة، كسروا الباب فوجدوا سها تحمل الطفل، والرجل يهم أن يضع هناء (بالبانيو) الذي أذاب به (البطاس)، وهي غائبة عن الوعي.

ألقَتْ الشرطة القبض عليهما، ونُقِلَتْ هناء للمشفى.

بعد عدة أيام، ذهبَ إليها خالد، كانت قد علِمَتْ بما حدثَ، فقبّلتُه، وشكرتْه.

قال لها: أتعرفين يا هناء.. أنا أحمد الله على ما أصابني، فما أصابني قد نجّاكِ.

●●●●●

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikandl.com